﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الزمر: 39 - 40]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بعدَ المَوْعِظَةِ إمّا اهتداءٌ أوِ استمرارٌ على الضَّلالِ

لَمّا أبلغهم اللّهُ تعالى في الآيةِ السّابقةِ من الموعظةِ أقصى مبلغٍ ونصبَ لهم من الحُججِ أسطعَ حُجّةٍ، وثبّت رسولَه ﷺ أرسخَ تثبيتٍ؛ أمرَ رسولَه في هذه الآيةِ أن يقولَ لهم على وجهِ التّهديدِ: ﴿ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ ما تستطيعونَ من العداوةِ؛ فهو ﷺ يوادِعهم موادعةَ مُستقرِبِ النَّصرِ، ويواعِدهم ما أعدَّ لهم من خُسرانٍ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾: المكانُ عند أهلِ اللُّغة: الموضِعُ الحاوي للشَّيْءِ، ويُقال: مكانٌ ومكانةٌ؛ فالمكانة: هي مؤنَّثُ المكانِ؛ روعيَ فيها معنَى البُقْعةِ، ومُكَنات الطَّيْرِ ومكُناتُها: مقارُّهُ، وقال الخليلُ: المكانُ مَفْعَلٌ من الكَوْنِ، ولكثرتِه في الكلامِ أُجْرِيَ مَجْرَى (فِعال)؛ فقيل: تَمَكَّنَ وتَمَسْكَنَ بمعنى: تَمَنْزَلَ. والمقصودُ بقولِه: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ يعني: حالتَكُم التي أنتم عليها من العداوةِ التي تَمكَّنتُم فيها على سبيلِ الاستعارةِ[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المُتَشَبِّثونَ بالضَّلالِ والشِّرْكِ ليس لهُم إلّا العذابُ في الدّارَينِ

فى هذه الآيةِ أمَر اللّهُ تعالى رسولَه محمّدًا ﷺ أن يتوعَّد أهلَ الشِّرْك؛ ويهدِّدَهم بعذابٍ يُخزيهم في الدُّنْيا، وبعذابٍ دائمٍ في الآخرةِ لما فعلوه من أنواعِ المكرِ والكيدِ للرّسولِ ﷺ وللمسلمين معه، وأنّهم بذلك لن يزدادوا إلّا وبالًا وخسرانًا، وأمّا أنا فإنّي عاملٌ في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 19.

(2) الراغب، المفردات: (مكن)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 602، والآلوسي، روح المعاني: 24/ 6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 20.

تقريرِ ديني والسّعي في نشرِه بين النّاس؛ فسوف تعلمون حينئذٍ أيُّنا المُبطِلُ؛ أنا أم أنتم ومَن يحلُّ عليه العذابُ المُقيمُ الدّائم في الآخرة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ فَصلِ الأمرِ بـ ﴿قُلْ﴾ عمّا قبلَه:

الانتقالُ من غَرَضِ الدَّعوةِ والمحاجّةِ إلى غرضِ التّهديدِ

فُصِلت هذه الجملةُ عمّا قبلها؛ لأنّها وقعتْ جوابًا لسؤالٍ يردُ في الخاطرِ بعدما أمَرَ اللّهُ تعالى رسولَه بتفويضِ الأمرِ إليه؛ بالتَّوكُّلِ عليه وحْدَه، وبعد أنْ أمَرَ نبيَّه بأنْ يُقيم الحُجَّةَ على أهلِ الشِّرْكِ؛ كأنَّ سائلاً سألَ عن حالِهم وحالِ الرَّسولِ معَهُم؛ هل قال لهُم شيئًا آخَرَ؟ فكانَ قولُه تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ جوابًا عن ذلك؛ فهو استئنافٌ بيانيٌّ، ولدَفْعِ توهُّمِ أنْ يكونَ أمْرُهُ: ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ لقَصْدِ إبلاغِهِ إلى المشركينَ، ولأنَّها انتقالٌ من غرضِ الدَّعْوةِ والمَحاجَّةِ إلى غرَضِ التَّهْديدِ[2].

بلاغةُ النِّداءِ في قولِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ﴾:

النِّداءُ يسترعي إسماعَ المُنادين لأهميَّة ما يُلقى إليهم

صُدِّرَ مَقولُ القولِ في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ بنداءِ أهلِ الكفرِ بـ (يا) التي هي في الأصلِ عند المُحقِّقين لنداء البعيدِ؛ لأنَّهُم في غفلةٍ عظيمةٍ وتناقُضٍ شديدٍ؛ فهم يُقِرّونَ بأنَّ خالق السّماواتِ والأرضِ هو اللّه، ومع ذلك يدْعون الأوثانَ من دونِه، ولذلك كان في ندائهم مزيدُ حِرْصٍ على نجاتِهم وشفقةٍ عليهم ورحمةٍ بهم.

عِلَّةُ التّعبيرِ بـ (قوم)

اللَّفظُ يحملُ الترغيبَ والتَّرهيبَ في آنٍ واحدٍ

ابتدأ القرآنُ المقولَ بالنِّداءِ بوصفِ القوميَّةِ في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ﴾؛ لِما يُشْعِر بهِ من التَّرْقيقِ لحالِهم والأسَفِ على ضلالِهم؛ لأنَّ

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 25/ 19.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 18.

كونَهُم قومَه يقتضي أن لا يَدَّخِر لهم نُصْحًا[1]. وللفِتهم إلى أنَّهم أهلُ قوامةٍ؛ فهم ذوو قوّةٍ تُعينُهم على فَهْمِ الخطابِ القرآنيِّ الإلهيِّ، والعملِ به؛ ففيه ترغيبُهم في المراجعة والتّفكير في شأن الأُلوهيّةِ الحقَّةِ والباطلةِ. ويجوزُ أنْ يكون فيه معنَى أنَّهم "فيهم كفايةٌ في القيام بما يُحاولونهُ"[2]؛ فيكون فيه تمهيدٌ للأمرِ في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾، وفيه إشارةٌ إلى إعلانِ حرصِهِ ﷺ لهدايتهم وتحذيرهم من مَغبَّةِ المعصيةِ فإنّه لن ينفعَهم شيئًا إذا لم يُؤمنوا.

دلالةُ الإضافةِ في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾:

تحبيبُهم في دعوتِهِ بإعلانِ حرصِهِ عليهم

أضافَ القرآنُ كلمةَ (قوم) إلى ياءِ المُتكلِّم مُرادًا بها النَّبيُّ ﷺ في سياقِ النِّداءِ لاستعطافِهِم، والمعنى: يا أقاربي الذين أرْتجيهم عند المُلِمّاتِ[3]. وللتَّنْبيهِ على عظيمِ حرصِه عليهم. وفي الإضافةِ إنكارٌ لطيفٌ عليهم أنْ يكونَ منهم تُجاهَ النَّبيِّ ﷺ ما يُؤلِمُه من إصرارِهم على الشِّرْك والكفرِ.

سِرُّ حذفِ ياءِ المُتكلِّمِ في ﴿يَٰقَوۡمِ﴾

قرابةُ الإيمانِ هي الأصلُ وليستْ قرابةَ النَّسَبِ

أضافَ القرآنُ كلمةَ (قوم) في قولِهِ تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ إلى ياءِ المُتكلِّمِ المحذوفةِ، وهذا مفهومٌ من سياقِ المعنى؛ وهو سياقُ النِّداء، وبقيَت الكسرةُ على الميم في (قوم) دليلًا عليها إشارةً إلى أنَّ النَّبيَّ ﷺ غيرُ راضٍ عنهم حالًا وعقيدةً، فهو تبرُّؤٌ خفيٌّ منهم يتَّسِقُ مع ما في سياقِ خصوصِ لفظ (قوم) الذي حُذف منه الياءُ، وفي ذلك تهديدٌ بأنَّه لن ينفعَهُم بشيءٍ ما داموا في الكفرِ والشِّرْك وإنْ كانوا أقاربَه وقومَه.

سِرُّ فَصْلِ قولِه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾:

ورَد قولُه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ مفصولًا عمّا قبلَه؛ لأنَّه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 20، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 265.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 451.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 451.

استئنافٌ نحْويٌّ أو ابتدائيٌّ لفقدانِ المناسبةِ الخاصَّةِ بينه وبينَ ما قبلَها؛ فبينهما كمالُ الانقطاعِ بلا إيهامٍ.

دلالةُ التّعبيرِ بالعملِ في قولِهِ: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾:

عبَّر القرآنُ بالعملِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ للإشارةِ إلى غضبِ اللّهِ عليهم بتوسعةِ مجالِ التَّهديدِ من الأقوالِ والأفعالِ الاختياريَّةِ المُتعمَّدَةِ المقصودةِ، والمعنى: افعلوا أفعالًا مبنيَّةً على العِلْمِ؛ وفي التَّعبير تعريضٌ بالعملِ الذي مبناهُ العِلْمُ والمكانةُ التي مَحَطُّها الجمودُ بأنَّ أفعالَهم ليس فيها ما يَنْبَني على العِلْمِ؛ وإنّما هي جُزافٌ لا اعتبارَ لها، ولا وزنَ لها[1].

ليس في أعمالِ المُشركين ما ينبني على العِلْمِ

بلاغةُ الأمرِ في قوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾:

الأمرُ في قولِه تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ ليس على ظاهرِهِ من الوجوبِ أو الإباحة؛ لأنَّه خطابٌ لأهلِ الشِّرْك، فكيف يُباح لهم أنْ يعملوا على مكانتهم؟ وإنّما يهدي سياقُ آيته إلى أنَّ المُرادَ به التَّهديدُ؛ لأنَّهُم معَ هذهِ الحُجَجِ القاطعةِ والأدلَّةِ القامعةِ والبراهينِ السّاطعةِ التي لا دافعَ لها بوجهٍ كالأنعام لا يُبْصِرون إلّا الجزئيّاتِ حالَ وقوعِها؛ على ما يهدي إليه التَّعبيرُ بالعملِ، فهذا الأمرُ فيه غضبٌ شديدٌ وتهديدٌ ووعيدٌ[2].

يقينُه ﷺ بأنَّهم على ضلالٍ مبينٍ

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿عَلَىٰ﴾:

الحرفُ ﴿عَلَىٰ﴾ معناه الاستعلاء الحسّيّ أو المجازيّ، وهو في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾: استعلاءٌ مجازيٌّ على مراعاةِ المجازِ في المكانةِ، وحقيقيٌّ على مراعاةِ ظاهرِ اللّفظِ. وفيه تنبيهٌ على شِدَّةِ تمسُّكِ أهلِ الكفرِ والشِّرك بكفرهم وشركهم؛ لأنَّهم مُتمكِّنونَ من حالةِ الكفرِ والشِّركِ والكذبِ والتّكذيبِ والضّلالِ والإضلالِ التي أحاطَتْ بهم؛ وهذا غايةُ الضَّلالِ والإضلالِ.

هؤلاءِ القومُ لا طمعَ في إيمانِهِم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 451.

(2) البقاعي، نظم الدُّرر: 6/ 451، والآلوسي، روح المعاني: 24/ 6، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 266.

بلاغةُ الاستعارةِ في قولِهِ: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾:

يُحلِّلُ القرآنُ نفسيّاتِهم وحالَهُم لعلّهم يرجعون

عبَّر القرآنُ بالمكانة في قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾، والمكانةُ: المكانُ روعيَ فيه معنَى البُقْعةِ فأُنِّثَ، وقدِ استُعير للحالةِ التي تُحيطُ بصاحبِها إحاطةَ المكانِ بالكائنِ فيه استعارةً تصريحيَّةً تبعيَّةً، والاستعارةُ أبلغُ في ذمِّهم؛ لأنَّ المعنى عليها: (اعملوا على طريقتكم من عداوتي، وحالتِكم التي ترتَّبْتُم فيها، وجمدتُم عليها؛ لأنَّه لا جِبِلَّةَ لكم من الكَوْن والمُكنة؛ لتُبْصِروا حقائقَ الأمور، فتنتقلوا عن أحوالكم السافلة إلى المنازل العالية)؛ فكأنَّ القرآنَ يشيرُ بذلك اللَّفظِ المُستعارِ إلى أنَّهم كالحيواناتِ العُجْم لا اختيارَ لهم. والمكانةُ نُقِلت من المكانِ المحسوسِ إلى الحالةِ التي عليها الشّخصُ، واستُعيرت لها استعارةَ المحسوسِ للمعقولِ؛ كما تُستعار (حيث) و(هنا) للزّمان والمكان بجامعِ الإحاطةِ والشُّمولِ[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالتّأنيثِ في قولِهِ: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾:

التّحدّي يكشفُ عوارَ المشركين وتهافتَ حُججِهم

في التَّعبيرِ بالتَّأنيثِ في قولِهِ: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ تنبيهٌ على بطلانِ هذه المكانةِ وضعفِها وحقارتِها، وما جرى في هذا الطّريقِ من المعنى. وفيه أيضًا: مشاكلةٌ لآلهتِهم التي أنَّثَها القرآنُ في قوله تعالى: ﴿هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ وقولِه: ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾؛ ففيه استحضارٌ لها معهم هنا في سياقِ الوعيدِ والذَّمِّ والتَّهديدِ.

التَّوجيهُ البلاغيُّ في قوله: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾:

الخوفُ والقلقُ والاضطرابُ النَّفسيُّ سِمَةُ هؤلاءِ المشركين

تعدّدتِ القراءاتُ في قوله: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾؛ فقرأ أبو بكرٍ عن عاصِمٍ قولَه تعالى: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ بالجمعِ هكذا: (مكاناتكم)، وقرأَهُ الباقون بالإفرادِ[2]. ففي الإفرادِ إشارةٌ إلى ما يشتركُ فيه جميعُ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 6/ 451، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 602، والآلوسي، روح المعاني: 24/ 6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 20، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 266.

(2) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص: 482، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 20.

المخاطَبينَ من الكفرِ والشِّرْكِ والكذِب على اللهِ والتَّكذيبِ بالصِّدْقِ. وفي قراءةِ الجَمْعِ إشارةٌ إلى ما هم فيه من تَشَتُّتٍ وتمزُّقٍ وتفرُّقٍ واضطرابٍ نفسيٍّ.

وممّا يُذكر في وجهِ قراءةِ الجمعِ (مكاناتكم) أنّها باعتبارِ تعدُّدِ الأفرادِ؛ فكلُّ واحدٍ له مكانةٌ يعملُ عليها.

دلالةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾:

مكانةُ المشركين صناعةٌ مزعومةٌ

أضافَ القرآنُ المكانةَ إلى ضميرِ القومِ المُشركين المُخاطَبين في قوله تعالى: ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾، و(مكاناتكم) على القراءتيْنِ المتواتريْنِ إشارةً إلى أنَّهُم همُ الذين صنعوا هذه المكانةَ وهذه المكاناتِ المزعومةَ على أيديهِم، وأنَّهم الذين أوقعوا أنفسَهم فيها؛ لأنَّ الحقَّ قد تبيَّنَ لهُم.

سِرُّ فَصْلِ قولِه: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾:

ورَد قولُه تعالى: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ مفصولًا عمّا قبلَه؛ لأنَّه جوابٌ من عساه أنْ يقولَ للنَّبيِّ ﷺ من أهل الشِّرك: فماذا تعملُ أنتَ؟ فهذه الجملةُ استئنافٌ بيانيٌّ[1].

دلالةُ التَّأكيدِ بقولِه: ﴿إِنِّي﴾:

الرَّسولُ مُؤيَّدٌ من ربِّه سبحانَه وهو ناصِرُهُ

لمّا كان المُتلقّي في نفْسِه تردُّدٌ بينَ أسئلةٍ: أهو عاملٌ أيضًا على مكانتِه أم عاملٌ على مكانةٍ أخرى؟ خصوصًا أنَّه مؤيَّدٌ من قِبَل من خلَق السّماواتِ والأرضَ فتستشرفُ نفْسُه إلى التَّعْيين؛ وهذا يقتضي تأكيدَ الحُكْمِ له في الجوابِ؛ فلهذا صُدِّرت هذه الجملةُ: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ بـ (إنَّ) التي تُفيد التَّأكيد.

دلالةُ الإخبارِ عن النَّبيِّ ﷺ بقولِه: ﴿عَامِلٌ﴾:

ذكَر القرآنُ أنَّ النّبيَّ أخبَر عن نفسه بقوله: ﴿عَامِلٌ﴾ دون وصفٍ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 451.

آخر؛ ليلفتَهُم إلى كمالِ مغايرتِه لعملهم؛ معتمِدًا في ذلك على ما في السِّباقِ من نحوِ قولِه تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾، وقولِه: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾، وقولِه: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾، ولو قال: (إنّي كذلك)، أو: (إنّي مثلكم)؛ لفُهم منه الاشتراكُ في العملِ، ولكنَّ القرآنَ أرادَ بيانَ كمالِ المُغايرةِ بين العملَيْن، وأنَّ عملَه ﷺ مبنيٌّ على العِلْم.

لفتُ انتباهِ المشركين إلى مغايرةِ عملِهِ ﷺ لعملِهِم

دلالةُ التّعبيرِ بالاسميَّةِ في قولِهِ: ﴿عَٰمِلٌ﴾:

نظَم القرآنُ العملَ المُسنَد إليه ﷺ ﴿عَٰمِلٌ﴾ اسمًا للدّلالة على رسوخِه وثبوتِه وعراقَته في بابِ العملِ الذي يُقيمُه اللّهُ فيه، وأنَّه لن يتخلَّى عن عقيدتِه وبرهانِ نبوَّتِه والأمرِ الذي أرسلَه اللّه به؛ ففي الاسمِ شموخُ الحقِّ وعِزَّةُ الإيمانِ وعلوُّ الصِّدْقِ.

ثبوتُهُ ورسوخُهُ على الحقِّ مهما آذاه المُشركون

دلالةُ التّنكيرِ في قولِهِ: ﴿عَٰمِلٌ﴾

نظَم القرآنُ العملَ المتَّصفَ به النَّبيُّ ﷺ في قولِه تعالى: ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾؛ للدّلالةِ على التَّفخيمِ والتّعظيمِ المُرادِ به التّهويلُ؛ نظرًا إلى الوصفِ الذي هو العمل؛ إبلاغًا في إرهابِ الخَصْمِ وإرعابِه.

الدّلالةُ على التّفخيمِ والتّعظيمِ

سِرُّ حذفِ مُتعلّق ﴿عَٰمِلٌ﴾:

حذَفَ القرآنُ متعلَّقَ قولِه تعالى: ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾، والتّقديرُ: (إنّي عاملٌ على مكانتي) بقرينةِ قولِه تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾؛ وسِرُّ الحذفِ - غير الاختصارِ - المبالغةُ في الوعيدِ؛ لأنَّه لو قيل: (على مكانتي) لتراءى أنَّه ﷺ على حالةٍ واحدةٍ لا تتغيَّرُ ولا تزدادُ؛ فلمّا أُطْلِق أشْعَر بأنَّ له ﷺ كلَّ زمانٍ مكانةً أخرى، وأنّه لا يزالُ يزدادُ قوَّةً بنصرِ اللّهِ تعالى وتأييدِه، ويؤيِّد ذلك قولُه تعالى: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ فإنَّه دالٌّ على أنَّه ﷺ منصورٌ عليهم في الدُّنيا والآخرةِ بدليلِ قولِه: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ فإنَّه إشارةٌ إلى العذابِ الدُّنيويِّ، وقد نالَهُم يومَ بدرٍ، وقولِه: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

الحذفُ أبلغُ في التّهديدِ والوعيدِ

مُّقِيمٌ﴾؛ فإنَّه إشارةٌ إلى العذابِ الأخرويّ؛ فإنَّ العذابَ المُقيمَ عذابُ النّارِ[1].

بلاغةُ مقابلةِ الجمعِ بالمُفردِ: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾، ﴿عَٰمِلٌۖ﴾:

الحَقُّ قد ينتصرُ بالقليلِ

في قولِهِ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٌۖ﴾ قوبلَ عملُ الجماعةِ بعملِ الواحدِ إشارةً إلى أنَّ عملَ الواحدِ الصّادقِ يعلو عملَ الجَمْعِ العَرَمْرَمِ من الكَذّابينَ والمُهوِّشينَ والدَّجّالينَ، وأنَّ سِرَّ النَّجاح ليس من كثرة العامِلينَ؛ وإنَّما في الذي يُسدِّدُ ويُصيبُ ويُتْقِنُ ويَصْدُقُ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفاءِ في قولِهِ: ﴿فَسَوۡفَ﴾:

هـذا مـن بـابِ ترتُّبِ المُسبَّبِ على السَّبب

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ رتَّبَت علمَهم الذي سيقَع في المستقبلِ على قولِهِ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٌۖ﴾، يعني أنَّ هذا الخلافَ الشّديدَ بيني وبينكم، وأنتم لاجّون في الرَّفْض والإنكارِ، وأنا جادٌّ في البلاغِ والبيانِ سوف تعلمون نتائجَه في المستقبلِ المُتَّسِعِ للدّنيا والآخرة. وما بعدَ الفاءِ يُفْهِمُ أنَّه كأنَّه جوابٌ على سؤالٍ أثارته جملةُ: ﴿ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ معَ السُّؤال السّابقِ ذِكْرُه؛ وهو أنْ يقول أحدُ المشركين: وماذا عساه أنْ يكون قولُه؟ إيذانًا بأنَّه على ثقةٍ من أمره؛ لأنَّ المُخْبِرَ له به هو اللّهُ[3].

علّةُ التّعبيرِ بـ(سوف)

في (سوف) مزيدُ ترغيبٍ ومزيدُ ترهيبٍ

(سوف) حرفُ تنفيسٍ، يختصُّ بالفعلِ المضارعِ، ويُخلِّصُه للاستقبالِ كالسّينِ، ومذهبُ البَصْريّينَ أنَّها أبلغُ من السّينِ في التَّنْفيسِ، وتدلُّ على توكيدِ حصولِ ما بعدها؛ بقرينة السّياقِ؛ أيْ: فسوف تعلمون بوعدٍ لا خُلْفَ فيه[4].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 262.
(2) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 267.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 451، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 266 - 267.
(4) المرادي، الجنى الداني، ص: 59، وما بعدها، وص: 458 - 459، والبقاعي، نظم الدرر: 6/ 451.

دلالةُ التَّعبير بالعِلْم دونَ الرُّؤيةِ أوِ المشاهدةِ:

العلمُ يؤدّي إلى اليقين

عبَّر القرآنُ بالعِلْم في سياقِ تهديدِ القوم المشركين المُصِرّين على الكفر والشِّرك في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ دونَ (ترون)، أو (تشاهدون).. ونحوِ ذلك؛ إبلاغًا في تهديدِهم وإرعابِهم وترهيبِهم؛ لأنَّ العِلْمَ يؤدّي إلى اليقينِ؛ فهو إدراكُ الشّيء بحقيقتِه من جهةِ الحُكْم على الشّيءِ بوجودِ شيءٍ هو موجودٌ له، وأصلُ مادَّتِه تدورُ على أثَرٍ بالشّيءِ يتميَّزُ به عن غيرِه[1]. فهو أعمُّ من الرُّؤيةِ والمُشاهَدةِ ونحوِهما.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

حصولُ مضمونِهِ في المستقبلِ وتجدُّدُه

نظَم القرآنُ معنَى العِلْمِ المُسْنَدِ إلى المُخاطَبينَ من أهلِ الكُفْر والشِّرك فِعْلًا مُضارعًا في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُونَ﴾؛ لأنَّ مضمونَه يَحْصُلُ في المستقبلِ؛ فسيحصلُ لهم العِلْمُ بالمذكورِ في آية: ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾ الآية، في مستقبل أمرِهم في الدُّنيا؛ عندَما يأذَنُ الله بعذابٍ لهم؛ وقد حصَل يومَ بدرٍ وغيره، وسيتجدَّدُ لهم عِلْمٌ بذلك في الآخرةِ عندما يحِلُّ عليهم عذابٌ مُقيمٌ.

بلاغةُ الوقفِ على قولِهِ: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾

تقسيمُ المعاني إلى آياتٍ ذو بلاغةٍ دقيقةٍ وغزيرةٍ

جملة ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ هي نهايةُ الآية، ومفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في أوَّل الآية بعدَها ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾، وكان يمكن أنْ تكون نهايةُ الآيةِ: ﴿إِنِّي عَٰمِلٌ﴾؛ وهي موضعُ وقفٍ، وتكون الآيةُ التي بعدها: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣٩ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ الآية؛ وإنّما جاءت على ما هيَ عليه؛ ليكون ترتّبُ ما بعد الفاءِ على ما قبلها في آيةٍ واحدةٍ؛ إبلاغًا في الوعيدِ والتَّهديدِ؛ لأنَّ هذا التَّرتُّبَ هو مَحْضُ الوعيدِ والتَّهديدِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ اللهَ ناصرُه، وأنَّه سبحانه يُخزيهم في الدُّنيا والآخرة.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (علم).

ومن أسرارِ الوقوفِ على رأسِ الآيةِ أنَّه يُعطي مُهلةً للمراجعةِ والتَّدبُّرِ في الوعيدِ والتَّهديدِ التي انتهَتْ إليه الآيةُ، ويُعطي مهلةً أيضًا لتدبُّر رأسِ الآيةِ الثّانيةِ: ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾[1].

بلاغةُ إبهامِ المُعذَّبِ:

الإنـصـافُ خيرُ داعٍ لـقـبـولِ الدّعوةِ

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ في هذه الآيةِ الكريمةِ ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾: دونَ (يأتيكم عذاب)؛ معَ أنَّ هذا هو المقصودُ من غير شَكٍّ؛ وإنّما أبْهَم تفاديًا لِما يوحِشُهم وترَك الأمرَ في صورِ المُحْتَمَل؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ [سبأ: 24]. من غير أنْ يقولَ لهم: (إنّا على هدى وأنتم في ضلال)؛ وهذا ممّا يُعلِّمُنا فيه ربُّنا أدبَ الخطابِ، وإذا كان هذا مع أشدِّ أعداءِ دينِهِ، ومعَ أهلِ الشِّرك الذين اتَّخَذوا من دونه أولياءَ؛ فكيف يكون الخطابُ مع غيرِهِم؟[2].

سِرُّ التَّعبيرِ بالموصوليَّةِ ﴿مَن﴾:

الأمْرُ أمْرُ جماعةِ حـقٍّ وجـمـاعـةِ باطلٍ

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التّعبيرَ بـ ﴿مَن﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ دونَ (الذي)؛ لأنّ ﴿مَن﴾ اسمٌ موصولٌ عامٌّ للعاقلِ المفرد والمُثَنَّى والجَمْع، والمُذكَّر والمُؤنَّث؛ ففي التّعبير به استحضارٌ لجميعِ أفرادِ الجماعةِ المسلمةِ المؤمنةِ، ولجميعِ أفرادِ الجماعةِ الكافرةِ المُشركةِ. والإبهامُ في الموصولِ يتَّسِقُ مع سياقِ التّهديدِ؛ لأنَّه يحتاجُ إلى صلةٍ توضِّحُه وتُبيِّنُه؛ فمعَه يكون تشوُّقُ المُتلقّي عمومًا إلى معرفةِ الصِّلة التي يتَّضِحُ بها محلُّ التّهديدِ بـ ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾.

سِرُّ التَّعبيرِ بالإتيانِ في قولِهِ: ﴿يَأۡتِيهِ﴾:

عـذابُ المُشركين أمـرُهُ عـنـدَ اللهِ يسيرٌ

عبَّر القرآنُ بالإتيان في قوله تعالى: ﴿يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ إبلاغًا في التّهديدِ والوعيدِ بمجيءِ عذابهم في الدُّنيا؛ لأنَّ فيه معنَى

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 267.
(2) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 267.

السُّهولة التي يتبعُها هنا الكثرةُ والسُّرْعةُ، وهذا لا يتعانَدُ مع دلالة: (سوف) على قوّة التَّنْفيسِ؛ لأنَّ محصولَ المعنَى أنَّ اللّه إذا قضَى بعذابهم في الدُّنيا كان مقتدرًا على ذلك كمالَ اقتدارٍ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمُضارِع ﴿يَأْتِيهِ﴾:

نظَم القرآنُ معنَى إتيانِ العذابِ فعلًا مضارعًا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾؛ إشارةً إلى تجدُّدِ أثَرِ ذلك العذابِ فيهم وتَكرارِه واستمرارِه؛ وهذا إبلاغٌ في تهديدِهم ووعيدِهم.

بلاغةُ الحَمْل على اللَّفْظ في الآية:

جعَل القرآنُ مفعولَ الإتيانِ ضميرَ المُفردِ المُذكَّرِ في قولِه تعالى: ﴿يَأْتِيهِ﴾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿يُخْزِيهِ﴾، وكذلك الضّميرُ المجرورُ في قولِه تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾ حَمْلًا على لفظِ: ﴿مَن﴾ بالإفرادِ والتّذكيرِ؛ وفي هذا إبلاغٌ في إبهامِ المُعذَّبِ؛ بما يَعْلو معَه الإنصافُ. وفيه أيضًا تصويرٌ لكمالِ قدرةِ اللّهِ تعالى وتمامِها وطلاقتِها، وسَعةِ علمِه تعالى بتقريرِ العذابِ لكلِّ فردٍ من أفرادِ الجماعةِ المُعذَّبةِ.

بـالإفـرادِ يعلو التَّرغيبُ ويشتدُّ التَّرهيبُ

بلاغةُ إسنادِ الإتيانِ إلى العذاب:

يجوزُ أنْ يكون إسنادُ الإتيانِ إلى العذابِ دالًّا على تشبيهِ العذابِ بمَن يكونُ منه الإتيانُ - وهو الإنسانُ - على سبيلِ الاستعارةِ المكنيَّةِ التّخييليَّةِ، ويجوزُ أنْ يكون دالًّا على حصولِ الإتيانِ من العذابِ على الحقيقةِ؛ على أنْ يكون إتيانًا خاصًّا لا يعلمُه إلّا اللّهُ؛ لأنَّ مُرْسِلَه هو اللّه؛ فانقيادُه للّهِ على جهةِ الحقيقةِ؛ وعلى كلٍّ فهذا الإسنادُ يدلُّ "على أنَّ العذابَ المُخْزيَ يترَصَّدُهم، ويستعظمُ جُرْمَهم، ويتهيَّأُ لمُهاجمتهم ومُباغتتهم، وأنَّه يأتيهم من كلِّ مكانٍ، وكأنَّ العذابَ يَرْصُدُ النّاسَ، ويُميِّزُ المُستحِقّينَ له، ويُباغِتُهم، وفيه شيءٌ من معنى قولِه تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: 12]."[1].

مَـــن يـجـعـلُ الأوثـــانَ آلـهـةً لا يُـنـكِـرُ إتـيـانَ العذابِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 21، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 267 - 268.

دلالةُ التَّعبيرِ بالعذابِ دونَ غيرِه:

يُباشِرُ المشركون العذابَ ويذوقونَه

جعَل القرآنُ فاعلَ الإتيانِ (العذابَ) في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ﴾؛ لأنَّه الأنْسَبُ بشدّة تمسُّك أهلِ الشِّرْك بشركِهم وكفرِهم؛ لأنَّهم أصرّوا عليه حتى أتاهم العذابُ المُخزي في الدُّنيا، والعذابُ المقيم في الآخرةِ؛ قال ابنُ فارسٍ: "وناسٌ يقولونَ: أصلُ العذابِ الضَّرْبُ[1].

سِرُّ التَّنكيرِ في قولِه: ﴿عَذَابٌ﴾:

تهويلُ العذابِ وتفخيمُهُ

نظَمَ القرآنُ المُسندَ إليه الإتيانُ نكرةً: ﴿عَذَابٌ﴾ في موضعَيْه في الآية؛ للدَّلالةِ على تعظيم العذابِ؛ والمُرادُ بالتَّعْظيمِ التَّهْويلُ؛ بقرينة الصّفةِ: ﴿يُخْزِيهِ﴾، وإسنادِ الإتيانِ إلى العذاب، وبقرينةِ إصرارِهم على شركهم بأمرِهم بالعملِ على مكانتهم؛ الدّالِّ على الغضبِ والتّهديد الشّديد. وفي هذا كلُّ تنفيرٍ مِمّا هم فيه من ضلالٍ وإضلالٍ. وتنكيرُ الوصفِ ﴿مُّقِيمٌ﴾ تابعٌ لتنكيرِ الموصوفِ ﴿عَذَابٌ﴾؛ فهو تمكينٌ لمعنى التَّنكيرِ فيه.

بلاغةُ وصْفِ العذابِ بالخزي: ﴿يُخْزِيهِ﴾:

العذابُ المُخْزي هو عذابُ الدُّنيا

نَظْم القرآن جملة ﴿يُخْزِيهِ﴾ صفةً للموصوفِ: ﴿عَذَابٌ﴾؛ لأنّه يدلُّ على أنَّ هذا الوصفَ هو المقصودُ من إتيانِ العذاب والدّلالة على شدّته من جهة المعنى والصّيغة؛ فأمّا المعنَى: فالخزيُ مِن: خَزِيَ الرَّجُلُ: لحِقَه انكسارٌ من نفسه؛ وهو الحياءُ المُفْرِطُ، ومصدرُه الخِزايَةُ؛ ففيه إشارةٌ إلى أنَّ هذا العذابَ يُزيلُ عن المُعذَّبِ كلَّ شيءٍ يُمكن أنْ يستعذبَه؛ كما يُفْسِدُ الكذبُ حياةَ النّاسِ. وأمّا نَظْمُه فعلًا مضارعًا؛ فيدلُّ على استمرارِ ذلك وتجدُّدِه وتَكرارِه. والمُراد به هنا عذابُ السَّيْفِ يومَ بدرٍ[2].

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (عذب).

(2) الراغب، المفردات: (خزي)، والبقاعي، نظم الدرر: 6/ 451، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 21، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 268.

بلاغةُ الوَصْلِ بالواو:

مَن غُضِبَ عليه في الدُّنيا؛ غُضِب عليه في الآخرةِ

جملةُ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ معطوفةٌ بالواوِ على جملةِ ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾؛ وهي صلةٌ؛ فالمعطوفُ على الصِّلةِ صلةٌ؛ وبينَ الجملتيْنِ توسُّطٌ بين الكماليْنِ؛ فكلٌّ منهما خبرٌ في اللّفظِ والمعنى، والمُعذَّبُ فيهما واحدٌ، وحسَّنَ الوَصْلَ الاتِّفاقُ في الفِعْليَّة. وفي كونِ جملةِ ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ صلةً للموصولِ إشارةٌ إلى فضيحةِ المشركين يومَ القيامةِ.

سِرُّ تقديمِ عذابِ الدّنيا على عذابِ الآخرة:

عـذابُ الدّنيا سابقٌ على عذابِ الآخرةِ

قدَّم القرآنُ عذابَ الدّنيا في قولِهِ: ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ على عذابِ الآخرةِ في قولِهِ: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ترقّيًا من الأدنى وهو عذاب الدّنيا، إلى الأكبر والأعلى وهو عذاب الآخرة؛ تجاوُبًا مع سياقِ الغضبِ من جهةٍ؛ فإنَّهم بإصرارِهم على الشِّرك في الدُّنيا يُعذَّبون فيها من أجلِه، فيترتَّبُ عليهم تعذيبُهم؛ من أجلِهِ في الآخرةِ، فليحذروا عذابَ الدنيا قبل حذرِهم من عذابِ الآخرةِ. ولو قُدِّم ذِكْرُ عذابِ الآخرةِ على ذِكْرِ عذابِ الدُّنيا لأفْهَمَ ذلك شدّةَ الغضبِ، وأنَّ عذابَ الدُّنيا آتيهم لا محالةَ، وأنَّهم لن يتوبوا ولن يرجعوا، وآتيهم لا محالة؛ وإنْ تابوا ورجَعوا؛ غضبًا وسخطًا عليهم، ولكنَّ القرآنَ عَكَسَ؛ ليفتح لهم بابَ الرُّجوعِ إلى اللّهِ؛ إحسانًا إليهم لعلَّهم يُصحِّحون موقفَهم؛ فيعبدون اللّهَ مُخلصينَ له الدّينَ.

دلالةُ التّعبيرِ بقولِهِ: ﴿وَيَحِلُّ﴾:

أحـاطَ بهمُ العنادُ؛ فأحاطَ بهمُ العذابُ

عبَّر القرآنُ بالحَلِّ مُسنَدًا إلى العذابِ في قولِه تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ لما يحملُهُ من معنى الوجوبِ؛ فهو مأخوذٌ من: حلَّ عليه الحقُّ، يحِلُّ (بالكسر)؛ أيْ: وجَب، وحَلَّ الدَّيْنُ: صارَ واجبًا، وأصلُ مادَّتِه يدلُّ على فَتْحِ الشَّيْءِ؛ ممّا ينتُج عنه سَعَتُه[1]. وفي التَّعبيرِ به إشارةٌ إلى أنَّ العذابَ يُحيطُ به من كلِّ مكانٍ.

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (حلّ)، والبقاعي، نظم الدرر: 6/ 451 - 452.

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿وَيَحِلُّ﴾:

تجدُّدُ العذابِ وإحاطتُهُ بأهلِ الشِّركِ

نظَم القرآنُ معنَى الحَلِّ المُسندَ إلى العذابِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ فعلًا مضارعًا؛ إشارةً إلى إحكامِ إحاطةِ العذابِ بأهلِ الكفرِ والشِّركِ، وتنبيهًا على أنَّهُم يتجدَّدُ لهم وفيهم الإحساسُ بالعذابِ؛ لأنَّ النُّزولَ بالمكانِ؛ للإقامةِ فيه قد يلزمُه استقرارٌ؛ وهذا هو الأصلُ، لكنَّ حلولَ العذابِ بهم أو عليهم ليس كذلك؛ فهم معه ليسوا بمُستقِرّينَ؛ بل هم في هَيجانٍ واضطرابٍ.

دلالةُ تعديةِ الفعلِ ﴿وَيَحِلُّ﴾ بـ(على) دونَ الباء:

عملوا على مكانتهم؛ فحلَّ عليهمُ العذابُ

عدَّى السّياقُ الحكيمُ الفعلَ ﴿وَيَحِلُّ﴾ بـ(على) دونَ الباءِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ﴾؛ ومعناها الاستعلاءُ المجازيُّ؛ فهي تدلُّ على تمكُّنِ العذابِ من كلِّ فردٍ من أفرادِ أهلِ النّارِ، وفيها معنى أنَّ العذابَ يعلوهم ويقهرُهم، وأنَّه يثقُل عليهم[1]؛ وهذا إبلاغٌ في التّهديدِ والوعيدِ، ومَن يطيقه من بني آدم وقد خُلق الإنسانُ ضعيفًا؟! وهذا يشاكلُ عَمَلَهم على مكانتِهم بتعدّي العملِ على المكانةِ بـ (على).

سِرُّ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيْهِ﴾:

تعظيمُ الوعيدِ في نفوسِ أهلِ الشِّركِ

قدَّمَ القرآنُ الجارَّ والمجرورَ ﴿عَلَيْهِ﴾ على الفاعلِ وصفتِهِ ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ على خلافِ الأصلِ والظّاهرِ؛ وذلك للتّشْويقِ إلى المُسنَدِ إليه؛ ليعظم الوعيدُ ويهولُه في نفوسِ المُتلقّين؛ خصوصًا أهلَ الشِّركِ. وإبلاغًا في التَّنْكيلِ بالمُعَذَّبِ؛ لأنَّه محلُّ غضبِ اللّهِ تعالى بسببِ دعوتِه للأصنامِ وعبادتِها من دونِهِ.

دلالةُ تَكرارِ العذابِ في الآيةِ:

تكرارُ العذابِ في الدّارَيْنِ صورةٌ لعِظَمِ جُرْمِهِم في حقِّ اللهِ

تكرَّرت كلمةُ ﴿عَذَابٌ﴾ في الآيةِ للتّنبيه على كمالِ المغايرةِ بينَ العذابَيْنِ؛ وهذا أبلغُ في التّهديدِ والوعيدِ لا محالةَ. وفيه أيضًا إشارةٌ

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (حلّ)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 21، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 268.

إلى وجودِ عذابيْنِ أحدُهما في الدّنيا، والآخر في الآخرةِ، ولهذا فسَّر العلماءُ عذابَ الخزي بأنَّه عذابٌ في الدُّنيا، وفسَّروا العذابَ المُقيمَ بأنَّه عذابُ الآخرة[1].

علّةُ التّعبيرِ بـ ﴿مُّقِيمٌ﴾:

الـدّلالـةُ على خلودِهِم في نارِ جهنَّم

وصَف القرآنُ العذابَ بالمقيمِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾؛ ليُمْسِكَ بقولِهِ تعالى: ﴿وَيَحِلُّ﴾؛ لأنَّه الأنسبُ والألصقُ بهِ؛ لأنَّ معنى (أحَلَّ بالمكان): أقامَ، وهم أهلُ مَحَلَّتِه؛ أيْ: أهلُ إقامته؛ ويُقال للقوم القاطنين غيرِ المسافرين: هم حلالٌ؛ ولهذا كانَتْ كلمة ﴿وَيَحِلُّ﴾ مُشْعِرةً بكلمة ﴿مُّقِيمٌ﴾؛ لأنَّ الحُلول مُشعرٌ بالمُلازمةِ والإقامةِ معهم؛ فكان التَّناسُبُ والتَّناغي بين ﴿وَيَحِلُّ﴾، وبين ﴿مُّقِيمٌ﴾ جليًّا[2].

سِرُّ وصفِ العذابِ بقولِهِ: ﴿مُّقِيمٌ﴾:

إقـامـةُ الـعـذابِ أبـلـغُ في تقريرِ إقامتِهِم في النّارِ

وصَف القرآنُ العذابَ بالإقامةِ في قولِهِ تعالى: ﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ على جهةِ المجازِ في الإسنادِ؛ فإنَّ ﴿مُّقِيمٌ﴾ اسمُ فاعلٍ عاملٌ عمَلَ الفِعْلِ؛ يرفعُ فاعلًا هو ضميرٌ مُستترٌ يرجعُ إلى العذابِ؛ أيْ: مقيمٌ هو، فقد وُصِف العذابُ بغيرِ ما حقُّه أنْ يوصَف به، والأصلُ: عذابٌ مُقيمٌ فيه صاحبُه؛ للإبلاغِ في تقريرِ إقامةِ أهلِ الشِّركِ والكفرِ في العذابِ، حتَّى كأنَّ الإقامة سَرَتْ من المُعذَّبِ إلى العذابِ.

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 268.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (حلّ)، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 603، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 21، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 268.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»